المنار

الجزءان ١١ و١٢ — السنة الثامنة
الاسكندرية في ٣١ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٥
الموافق ٥ ذوالقعدة سنة ١٣٢٣

خوف الموت

يتوهم الناس انه حين يدنو اجلهم تكون ساعة موتهم شديدة عليهم ولذلك يبيتون من خوف الموت على اشد ما يقتضيه حتى اذا جاءهم لم يجدوه شيئاً بمقدار ما تصوروا واشد ما تكون هذه الحالة عند كبار العقول او الذين لا عقل لهم ولا تصور بخلاف متوسطي الحال في الادراك فانهم على ما قال يجزعون ويتصورون ما بعد الموت فيرتاعون

الا ان الذي يحكم به على الناس بعمومهم انهم على شدة جزعهم من الموت لا يرتاعون له حين مجيئه لانهم لا يكونون على ثقة من ان الساعة التي هم فيها هي ساعته ولذلك يكون ذكر دنياهم في تلك الساعة غالباً على ذكر اخراهم وبالتالي مانعاً لخوفهم من هول الموت وقد اكد ذلك احد اطباء المستشفيات الذين يكثر موت المرضى بين ايديهم واكده ايضاً

كثيرون من الاطباء الذين يرافقون الجيوش في الحروب فقالوا ان اكثر العساكر كانوا يموتون بين ايديهم وهم يرددون هتاف النصر اذا كانوا منتصرين او يتوعدون ويشتمون اذا كانوا منهزمين دون ان يخطر لاحد منهم خاطر غير ذلك كتوصية او التماس رحمة او غفران او شيء مثل هذا ولعل ذلك يكون فيهم من قوة الاستمرار الا انهم ذكروا عن نلسن القائد البحري الانكليزي انه حين مات منتصراً تذكر اعماله فقال لطبيبه انني ما كنت شريراً كبيراً

الا ان خلاصة ما يذكرونه عن الموت بجملة حالاته واختلاف فرائسه من حيث القدر والعقل تدل على ان خوف الموت ليس بمقدار ما يتصوره كل حيّ سليم معافى او غير محتضر كما راقبوا ذلك في اكثر المحكوم عليهم بالاعدام فان موتهم تحت المقصلة او المشنقة امر متأكد لديهم بخلاف موت المرضى ولكنهم مع ذلك يكونون اقل جزعاً مما يتصور البرئ حتى لقد رويت عن كثيرين منهم بعض النكات المضحكة وهم على فتر من المشنقة

ثم انه مما يدل على ان الموت لا يخيف الانسان كثيراً ولا يخيفه احياناً بالاطلاق هو كثرة الانتحار وشيوعه فان الكثيرين ينتحرون لاسباب ضعيفة وهم على تمام التعقل مدفوعين الى ذلك باعتقاد ان الموت اسهل جداً مما هم فيه وهم سواء كانوا مصيبين في اعتقادهم او لا فان كثرة انتحارهم تدل على ان هذا الموت ليس رهيباً جداً كما هو الشائع لدى التصور

الا ان الذي يظهر انه حيث يكون شيء من العقل والادراك يكون الخوف من الموت كثيراً وانه يقل او يضعف حين تناهي العقل او الجهل

اما تناهي العقل فقد يدفع باصحابه حين الموت الى الاعتقاد بانهم مصابيح وقد انطفأت ليس الا او ان هذا الموت ضروري لا بد منه وقد جاء اوانه واما تناهي الجهل فيدفع هذا التصور اصلا كما يظهر من تعرض الجهلاء للمخاطر فان الواحد منهم لا يعتبر حياته شيئاً قبل الموت ولا يعتبر موته رهيباً حين حدوثه والا لبدا بعض ذلك منهم حين حدوثه في غيرهم فانه قد يسقط القتيل في شارع وهو يتخبط بدمائه على صورة فظيعة فلا يأسى لفقده ومنظره الا اولو الرشد والتعقل واما الجهلاء والرعاع فيمرون به مراً غير مرتاعين له شيئاً لان مداركهم اقصر من ان تمتد الى الشعور بحالة ذاك القتيل

الا ان الخوف من الموت اذا لم يكن موجوداً حقيقة او مختلف التأثير بالقلة لاختلاف المدارك فان ذلك قد يكون بفعل الموت نفسه وتخديره لمدارك المحتضر حتى لا يعود يفتكر بشيء يأسى لفقده ويضطرب لفراقه وبهذا يكون الموت قد جاء يقسو من جهة ويرحم من جهة ولكن قساوته الحقيقية التي لا رحمة معها تكون نازلة على اهل الميت واصدقائه فان الجزع يكون ملماً بهم دونه وقد طالما روي عن محتضرين كانوا يعزون اهلهم بهم انفسهم فلا يتعزون لفرط الكآبة ولكن هذه القساوة ممتزجة ايضاً بشيء من الرحمة لانه ليس بين مصائب الارض مصيبة تأتي كبيرة ثم تصغر حالا مثل مصيبة الموت وكفى بهذا الصغر السريع رحمة لكل ثاكل